الرِّسَـــالة العَاشِرَة

خَـــوفُ الله.. وخَوفُ البشَر

(Arabic - The fear of God and the fear of man)

أحبّائِى.. حديثنَا اليَوْم مَوضُوعُهُ: "خَـــوفُ الله.. وخَوفُ البشر"

ومِنْ سفر المُلوك الثانِى الأصْحَاح الرّابع نَقرَأ العَدَدَ الأول.

"وصَرَخَتْ إلى أليشع امرأة من نساء بنى الأنبياء قائلة: إن عبدَك زوجى قد مَاتَ!.. وأنت تَعلمُ أنّ عبدَك كان يخافُ الربّ.. فأتى المُرابى ليأخذ ولدىّ له عَبْدَيْن!."[1]

إنّ الخوفَ غريزة من غرائز الإنسان.. خلقها الله فينا لنحميَ بها أنفسَنا من الأخطار التى تصادفنا فى مسيرة الحياة.. والخوفُ يجعلنا حذرين.. نستخدمُ ما وهبنا الله من قدراتٍ عقليّة وجسديّة ونفسيّة وروحيّة.. لنحيا سالمين آمنين من الأذى.. وغريزة الخوف شأنها شأن سائر الغرائز فينا.. كغريزة حب الاستطلاع وغريزة البحثِ عن الطعام وغريزة الدفاع عن النفس والغريزة الجنسيّة.. والغريزة سلاحٌ ذو حدّين.. نافعٌ إذا أحسنّا استخدامَه.. ويعودُ علينا بالضرر إذا أسأنا استخدامَه.. وإنّ العقلَ المدبر والإرادة المنفذة للقرار الحكيم.. لازمان كى تسيرَ أىّ غريزةٍ فى مسارها القويم.. فإنّ غيّرتْ إحدى هذه الغرائز الموجودة فينا مسارَها الطبيعى.. أصبح السلوكُ شاذاً وخطيراً والعواقبُ وخيمة.. ليست على حياتنا كأفرادٍ وحسْب بل على كيانِنا الأسَرىِّ وعلى مجتمعِنا بأسرهِ.

ولكى نعرفَ معنى الخوف الذى هو بمثابة حماية ووقاية لنا.. لا بدّ أن نرجعَ إلى كلمةِ الله.. ففى سفر المزامير نقرأ: "أنّ رأسَ الحكمةِ مخافة الربّ"[2].. وخوفُ الله معناه تقوى الله.. والتقوى هى حرصُ العبدِ على طاعةِ الله وعمل ما يرضيه.. وفى سفر الأعمال الأصحاح العاشر.. نقرأ عن صفات طيّبة لقائدِ مائة يُدعى كرنيليوس.. إذ مكتوبٌ: "وهو تقىّ وخائفُ الله معَ جميع بيته"[3].. إنّ خوفَ الله معناه كراهية الشر.. ففى سفر الأمثال الأصحاح الثامن مكتوبٌ: "مخافة الربّ بُغْضُ الشرّ"[4].. ولأنّ اللهَ يبغضُ الشر فرجلُ الله بالتالى يرى الشرّ بنفس العين التى بها يرى الله الشرّ.. وكلّ تقىّ خائف الله يبغض الشر ويحيد عنه بل يتحاشاه.. لأنه مُعطلٌ بل مُدمّرٌ لعمل الله.. وبالعودةِ إلى قصةِ المرأة التى جاءت إلى أليشع صَارخة: "إن عبدَك زوجى قد مات. وأنت تعلمُ أنّ عبدَكَ كان يخافُ الربّ.. فأتى المُرابى ليأخذ ولدىّ له عَبْدَيْن".. يتضحُ لنا من شكوى المرأة أن زوجَها لمْ يتركْ مالاً لتسديدِ الدَيْن ويتضحُ أيضاً أنّ زوجَها ترَك لها ولولديها شيئاً عظيماً! فهى تخاطبُ رجلَ الله أليشع قائلة: "وأنت تعلمُ".. ماذا يعلم رجلُ الله أليشع عنْ زوجها؟.. لنسمَعْها تقول: "وأنت تعلمُ.. أنّ عبدَك كان يخافُ الربّ".

حقاً ترك زوجَها ما هو أعظم.. ترك سيرة عَطِرة وهى أنّ زوجُها كان يخافُ الله.. ولقد كانت مخافة الله مفتاحاً لكنز زاخر بالبركة. فلقد قال لها أليشع: "ماذا أصنع لك. أخبرينى ماذا لك فِى البيت؟". فقالت: "ليس لجاريتك شيء فِى البيت إلا دهنة زيت".. فقال: "اذهبى استعيرى لنفسك أوعية مِنْ خارج مِنْ عندِ جميع جيرانِك.. أوعية فارغة.. لا تقللى.. ثم ادخلى واغلقى الباب على نفسِك وعلى بنيك.. وصُبّى في جميع هذه الأوعية.. وما امتلأ انقليه.. فذهبت من عنده وأغلقت البابَ على نفسِها وعلى بنيها.. فكانوا هم يقدّمون لها الأوعية وهي تصُبّ".. ولمّا امتلأت الأوعية قالت لابنها: "قدّم لى أيضا وعاءً".. فقال لها: "لا يوجد بعدُ وعاء.. فوقف الزيت!".. فأتتْ واخبرتْ رجلَ الله فقال: "اذهبى بيعى الزيتَ واوفى دينك.. وعيشى أنتِ وبنوك بما بقى!".[5]

---

[1] سفر الملوك الثانى ٤: ١ ، استمع إلى الإنجيل

[2] سفر المزامير ١١١: ١٠

[3] سفر الأعمال ١٠: ٢

[4] سفر الأمثال ٨: ١٣

[5] سفر الملوك الثانى ٤: ٢ – ٧

إنّ مَنْ يخاف الله لا يخاف الناس. فمَا خافت تلك الآرملة أن يأتى المُرابى ليأخذ ولديها له عَبْدَيْن "فملاكُ الربّ حالٌ حولَ خائفيه وينجيهم".. إنّ إبليس يملأ قلوبَ الناس بروح الخوف من المستقبل ومن المرض ومن الفقر ومن الموت. ولكن مَنْ يخاف الله لا يخاف المُفاجئات الصعبة ولا إذا تعذر الحصول على الاحتياجات الماديّة "لأنّهُ ليسَ عَوَزٌ لمتقيه".. وبإنجيل متى الأصحاح العاشر تحذيرُ السيّد المسيح لتلاميذِه حتى لا يخافوا إذا صادَفهم ضيقٌ أو اضطهادٌ مِنْ أعدائهم.. أو إذا تربصوا لهم ليقتلوهم.. فلقد قالَ الربّ: "ولا تخافوا مِنَ الذين يقتلون الجسدَ ولكنّ النفسَ لا يقدرون أن يقتلوها.. بل خافوا بالحرىّ من الذى يقدر أن يهلك النفسَ والجسدَ كليهما فِى جهنم".[1]

قال داود النبى فى مزموره السابع والثلاثين: "كنتُ فتى وقد شختُ.. ولمْ أرَ صِدّيقا تخلى عنه ولا ذرية له تلتمسُ خبزاً".. وكتب بولس الرسول إلى مؤمنى رومية: "من سيفصلنا عن محبةِ المسيح؟!. أشدّةٌ أمْ ضيقٌ أمْ اضطهادٌ أمْ جوعٌ أمْ عرىٌ أمْ خطرٌ أمْ سيفٌ.. كما هو مكتوبٌ إنّنا مِنْ أجلك نماتُ كلّ النهار.. قد حُسبنا مثلَ غنم للذبح ولكنّنا فِى هذه جميعها يعظمُ انتصارُنا بالذي أحبّنا.. فإنّى متيقنٌ أنّه لا موت ولا حياة.. ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات.. ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة.. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربّنا".. ومَنْ يخاف الله لا يخاف من الهلاك الأبدىّ.. فقد جاء بإنجيل يوحنا الأصحاح العاشر: "خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى.. وأنا أعطيها حياة أبدية ولنْ تهلك إلى الأبد.. ولا يخطفها أحد من يدى.. أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل.. ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى.. أنا والآب واحد".[2]

قد يسأل سائل: ما عِلة الخوف الذى هو ليس خوف الله؟. وكيف يصِل إلى قلبِ الإنسان؟. وهل من وسيلةٍ للتخلص منه؟. باختصار أقول: الخطية هى العِلة.. وإبليس مستغلاً شهواتِ الجسد ومغرياتِ العالم الشرير يخدعُ بها قلبَ الإنسان.. والوسيلة للتخلص مِنْ ذلك الخوف هى الإبدالُ والإحلالُ فى قلبِ الخاطئ.. فمحبة الله إذا وصلت إلى القلبِ تطهرُه وتنقيه.. "وتطرَحُ الخوفَ إلى خارج"[3].. لأن النورَ والظلمة لا يجتمعان.. وخوفُ الله هو أولُ شعاعةٍ تصلُ إلى قلب الإنسان الخاطى إذا رجع إلى الله لتبددَ ظلامه.. لقد صُلبَ مع المسيح لصّان واحدٌ منهما كان يجدّفُ على المسيح المصلوب قائلا: "إنْ كنتَ أنتَ المسيح فخلّصْ نفسكَ وإيّانا".. فانتهره الثانى قائلا: "أوَلا أنتَ تخاف الله؟!". كانت أولُ شعاعةٍ تصلُ إلى قلبِ ذلك اللص دون الآخر هى خوفُ الله.. تلا هذه الشعاعة فيضٌ من النور ملأ قلبَه.. وسطع النور فى بهائه أمام عينيه.. فعرف أنّ المسيحَ ربٌّ.. فقال ليسوع المصلوب: "اذكرنى يا ربُّ متى جئتَ فى ملكوتك". أجابه الربُّ يسوع: "الحقّ أقولُ لك إنّك اليومَ تكونُ معى فى الفردوس".

عزيزى القارئ.. إنّ نور معرفة المسيح حين يسطعُ أمامك سيمتلئ قلبك بخوفِ الله وحدَه.. وتتمتع بغفران خطاياك التى هى علة الخوف وعدم الشعور بالطمأنينة.. إنّكَ إذا قبلت الربّ يسوع الآن وتوجته ملكاً على عرش قلبك ستختبر "سلامَ الله العجيب" الذى يفوق كلّ عقل وستحيا فى أمان وتضمن الحياة الأبديّة فى ملكوتِهِ.[4]

أدعوك أخى كى تشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. يا مَنْ لك وحدك السيادة والسلطان.. أسألك غفرَانا لخطاياى وآثامى لأتمتع بسلامِك العجيب.. يُسعدنى ربّى أنْ تسودَ على قلبى وحياتى.. أشتاقُ أن أحيا فى سلام بلا خوف لا من الظروف التى تحيط بى ولا مِنْ المستقبل ولا من مرض ولا من فقر ولا من موت.. فأنت ضامن مستقبلى وأنت طبيبى الشافى وبك أغتنِى وأنت كل رجائى فى الحياة الأبدية.. وكل ما أطلبُهُ.. أطلبُهُ فى حقِّ الدّم الثمين المسفوك عنّى على الصليب.. "لا أخافُ شَرّاً لأنكَ أنْتَ معى" ومَعَ مَنْ أصلِى مِنْ أجلِهِمْ.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع البارّ.. واثقاً أنك تستجيبُ لعبدِكَ لأنكَ وعَدْتَ بقولِكَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر المزامير ٣٤: ٧ & ٩ ، إنجيل متى ١٠: ٢٨
[2] سفر المزامير ٣٧: ٢٥ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ٣٥ – ٣٩ ، إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧ – ٣٠
[3] رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ١٨ ، إنجيل لوقا ٢٣: ٣٩ – ٤٣
[4] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤: ٧ ، سفر المزامير ٢٣: ٤